النُخَبُ الزُّهْرِيَّةِ

عَلَى

الْمَنْظُومَةِ الْبَيْقُونِيَّةِ

2

المحاضرة الثانية من محاضرات مصطلح الحديث

وهكذا إخوة الإسلام لا زال العلماء رحمهم الله إلى هذا الزمان يمتثلون أمر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ».

ورأوا أن من آكد الرحمة رحمةُ الْمُعلِّمين بالمتعلمين وأولى الخلق بهذه الرحمة هم طلبة العلم وحملتهُ، فجعلوا يسلكون كل سبيل في تسهيل العلم وتقريبه لهم ويكتبون في هذا الفن وفي غيره نثرًا وشرحًا واختصارًا ونظمًا، ومن جملة من كتب في ذلك:

- عمر بن محمد البيقوني، ألف "المنظومة البيقونية" وهي من المنظومات المختصرة؛ وتقع في أربعة وثلاثين بيتًا، وتُعد من المختصرات النافعة المشهورة، وعليها شروح متعددة، وهذا لعذوبة لفظها، وسهولة نظمها، وصِغر حجمها، مع أن البيقوني رحمه الله لم يستوعب أبواب هذا العلم.

ومن تسهيل العلماء للعلوم أنهم يختصرونها وينظمونها لتكون أسهل في التحصيل والفهم وأثبت في العقل والذهن من خلال حفظه لهذه المنظومة، لذلك قال السفَّاريني رحمه الله في منظومته:

وَصَار من عَادَة أهل الْعلم ... أَن يعتنوا فِي سبر ذَا بالنظم

لِأَنَّهُ يسهل للْحِفْظ كَمَا ... يروق للسمع ويشفي من ظما

مقدمات مهمة:

1- التعريف بالمؤلف:

الإمام البيقوني -رحمه الله تعالى -، لم تسعف التراجم في ترجمته أو التعريف به فلا يكاد يوجد له ترجمة كما هي في تراجم غيره ممن ألف ونظم حتى إنهم اختلفوا في اسمه منهم من قال أن اسمه طه بن محمد ومنهم من قال أنه عمر بن محمد، وأنه كان حيًّا قبل عام 1080هـ، معلومات فقط هكذا.

قال عنه خير الدين الزركلي في كتاب "الأعلام": البيقوني عمر (أو طه) بن محمد بن فُتُوح البيقوني: عالم بمصطلح الحديث، دمشقي شافعيّ، اشتهر بمنظومته المعروفة باسمه "البيقونية" في المصطلح.اهـ.

وهذا فيه فائدة: أن طالب العلم عليه أن يجاهد نفسه بإخلاص العمل لله عز وجل ولا يحتقر نفسه ولا عمله، فالإمام البيقوني ـ رحمه الله تعالى ـ ليس له من العلم إلا أنه نظم بضعة وثلاثين بيتًا في علم المصطلح، وكثُرَ شرَّاحُها، سواء من القدماء أو من المعاصرين، وقل من يدرس المصطلح أو يهتم بعلم الحديث في الوقت المعاصر إلا وقد شرح البيقونية أو قرأها أو مرَّ عليها، فكم من الحسنات تجري لهذا الإمام الذي توفي ولا يُعرف، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

2- تعريفات مهمة:

1- علم المصطلح:

تعريفه: هو علم بأصول وقواعد يُعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد.

موضوعه: السند والمتن أو الراوي والمروي من حيث القبول والرد.

ثمرته: تمييز الصحيح من السقيم من الأحاديث.

قال السيوطي في ألفيته:

عِلمُ الحديثِ: ذُو قوانِين تُحَدْ ... يُدْرَى بِها أَحْوَال مَتْنٍ وَسَنَدْ

فَذَانِكَ الموضوعُ، والمقصودُ ... أَنْ يُعرَفَ المقبُولُ والمَردُودُ

2- الحديث: لغة : الجديد اصطلاحًا: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل، أو تقرير أو صفة.

3- الخبر: لغة: النبأ، اصطلاحًا: أ- هو مرادف للحديث أي أن معناهما واحد.

ب- وقيل هو مغاير له: فالحديث: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر: ما جاء عن غيره ومن ثم قيل لمن يشتغل بالحديث محدث ولمن يشتغل بالتاريخ إخباري.

ت- وقيل هو أعم منه: فالحديث: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر: ما جاء عنه أو عن غيره فالحديث يشمل المرفوع والخبر يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع.

4- الأثر: لغة بقية الشيء، اصطلاحًا: هو أ- مرادف للحديث: أي أن معناهما واحد اصطلاحا.

ب- وقيل هو مغاير له: وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين.

5- السند: لغة المعتمد، وسمي كذلك؛ لأن الحديث يستند إليه، ويعتمد عليه.
اصطلاحًا: الطريق الموصلة للمتن.

مثاله: قال البخاري حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، خَطِيبًا يَقُولُ:

6- المتن: لغة ما صلب وارتفع من الأرض، اصطلاحًا: ما ينتهي إليه السند من الكلام.

مثاله: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»

7- المحدِّث: هو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية، ويطَّلِع على كثير من الروايات، وأحوال رواتها.

8- الطبقة: الجماعة من المحدثين أو الرواة الذين تقاربوا في السن فتعاصروا واشتركوا في الأخذ عن شيخ أو شيوخ بأعيانهم.

[نَصُّ المنظومةِ البيقونيةِ]

بسم الله الرحمن الرحيم

1 – أبدأُ بالحمدِ مُصَلِّياً عَلَى ... مُحَمَّدٍ خَيْرِ نبيّ أُرسلا

2 – وذِي من أَقْسَامِ الحَدِيثِ عِدَّهْ ... وَكُلُّ واحد أتى وحدَّه

3 – أوَّلُها "الصَّحِيحُ" وَهْوَ مَا اتَّصل ... إسْنَادُهُ وَلَمْ يَشُذَّ أَوْ يُعَلْ

4 – يَرْوِيهِ عَدْلٌ ضَابِطٌ عَنْ مِثْلِه ... مُعْتَمَدٌ فِي ضَبْطِهِ وَنَقْلِه

5 – و"الحَسَنُ" المعروفُ طُرْقاً وَغدَتْ ... رِجَالُهُ لاَ كالصّحيحِ اشْتَهَرتْ

6 – وكُلُّ مَا عَنْ رُتْبَةِ الحسن قَصُرْ ... فَهْوَ "الضعيفُ" وَهْوَ أَقْسَاماً كُثُرْ

7 – وَمَا أُضيفَ لَلنَّبِي "المَرْفُوعُ" ... وَمَا لِتَابِعٍ هُوَ "المقْطُوعُ"

8 – و"الُمسنَدُ" الُمتَّصِلُ الإسنادِ مِنْ ... رَاوِيهِ حَتَّى الُمصْطَفَى وَلَمْ يَبِنْ

9 – وَمَا بِسَمْعِ كُلِّ رَاوٍ يَتَّصِلْ ... إسْنَادُهُ لِلْمُصْطَفَى فَ"الْمُتَّصِلْ"

10 – "مُسَلْسَلٌ" قُلْ مَا عَلَى وَصْفٍ أَتَى ... مِثْلُ أَمَا وَاللهِ أنْبأَنِي الْفَتَى

11 – كذَاكَ قَدْ حَدَّثَنِيهِ قَائِمًا ... أَوْ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنِي تَبَسَّمَا

12 – "عَزِيزٌ" مَرْوِي اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَهْ ... "مَشْهُورُ" مَرْوِي فوْقَ مَا ثَلاثَهْ

13 – "مَعَنْعَنٌ" كَعَن سَعِيدٍ عَنْ كَرَمْ ... "وَمُبْهَمٌ" مَا فِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمْ

14 – وَكُلُّ مَا قَلَّتْ رِجَالُهُ "عَلاَ" ... وَضِدُّهُ ذاك الذي قد "نَزَلا"

15 – ومَا أضَفْتَهُ إلَى الأَصْحَابِ مِنْ ... قَوْلٍ وفعْلٍ فَهْوَ "مَوْقُوفٌ" زُكِنْ

16 – "وَمُرْسلٌ" مِنْهُ الصّحَابِيُّ سَقَطْ ... وَقُلْ "غَرِيبٌ" مَا رَوَى رَاوٍ فَقَطْ

17 – وَكُلُّ مَا لَمْ يَتَّصِلْ بحالِ ... إسْنَادُهُ "مُنْقَطِعُ" الأوْصالِ

18 – "والُمعْضَلُ" الساقِط مِنه اثنانِ ... وما أتى "مُدلسًا" نَوعانِ

19 – الأَوَّلُ: الاسْقَاطُ لِلشَّيْخِ وَأَنْ ... يَنقُلَ عَمَّنْ فَوْقَهُ بِعَنْ وَأَنْ

20 – والثَّانِ: لاَ يُسْقِطُهُ لَكِنْ يَصِفْ ... أَوْصَافَهُ بِمَا بِهِ لاَ ينعرفْ

21 – وما يُخَالِفْ ثِقَةٌ بِهِ المَلا ... ف"الشاذُّ" و"المَقْلُوبُ" قِسْمَانِ تَلا

22 – إبْدَالُ رَاوٍ مَا بِرَاوٍ قِسْمُ ... وَقَلْبُ إسْنَادٍ لِمَتْنٍ قِسْمُ

23 – وَ"الفَرْدُ" مَا قَيَّدْتَهُ بِثِقةِ ... أَوْ جَمْعٍ أوْ قَصْرٍ عَلَى روايةِ

24 – ومَا بعِلَّةٍ غُمُوضٍ أَوْ خَفَا ... "مُعَلَّلٌ" عِنْدَهُمُ قَدْ عُرِفَا

25 – وذُو اخْتِلافِ سَنَدٍ أَوْ مَتْنِ ... "مُضْطَرِبٌ" عِنْدَ أُهَيْلِ الْفَنِّ

26 – و"الُمدْرَجَاتُ" فِي الحديثِ مَا أَتَتْ ... مِنْ بَعْض أَلْفَاظِ الرُّوَاةِ اتَّصَلَتْ

27 – ومَا رَوى كُلُّ قَرِينٍ عَنْ أَخِهْ ... "مُدّبَّجٌ" فَأَعْرِفْهُ حَقًّا وانْتَخهْ

28 – مُتَّفِقٌ لَفْظاً وَخطّاً "مُتَّفِقْ" ... وضِدُّهُ فِيمَا ذَكَرْنَا "المُفْتَرِقْ"

29 – "مُؤْتَلِفٌ" مُتَّفِقُ الخَطِّ فَقَطْ ... وَضِدُّهُ "مُخْتَلِفٌ" فَاخْشَ الْغَلَطْ

30 – "وَالمُنْكَرُ" الْفَرْدُ بِهِ رَاوٍ غَدَا ... تَعْدِيلُهُ لاَ يَحْمِلُ "التَّفَرُّدَا"

31 – "مَتْرُوكُهُ" مَا وَاحِدٌ بِهِ انْفَرَدْ ... وَأَجْمَعُوا لِضَعْفِهِ فَهْوَ كَرَدْ

32 – وَالكَذِبُ المُخْتَلَقُ المَصْنُوعُ ... عَلَى النَّبِي فَذلِكَ المَوْضوعُ

33 – وَقَدْ أَتَتْ كَالجَوْهَرِ المكْنُونِ ... سَمَّيْتُهَا مَنْظُومَةَ البَيْقُونِي

34 – فَوْقَ الثَّلاثِيْنَ بِأَرْبَعٍ أتَت ... أَقْسَامُهَا تَمَّتْ بِخَيْرٍ (خُتِمَتْ)

الشرح

- **قوله "بسم الله الرحمن الرحيم"**

درج المصنفون على أنهم يبدأون كتبهم بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل، وتأسيًا بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم كما في مكاتباته للملوك، وكما في وثيقة صلح الحديبية وعملًا بحديث: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر"، أي ذاهب البركة، لكنه ضعيف لا يثبت.

- والبسملة تتكون من: جار ومجرور، ومضاف إليه، وصفة.

فالجار والمجرور هو "بسم".

والمضاف إليه هو لفظ الجلالة "الله".

والصفة هي "الرحمن الرحيم".

وكل جارّ ومجرور لابد له من التعلق. فالبسملة متعلقة بفعلٌ محذوف متأخرٌ مناسب للمقام.

مثاله: إذا قال رجل بسم الله، وهو يريد أن يقرأ النظم فإن التقدير يكون: بسم الله اقرأ،

وإذا كان الناظم هو الذي قال: بسم الله فإن التقدير يكون: بسم الله أنظم.

ولماذا قدّرناه فعلاً ولم نقدّره اسم فاعلٍ مثلاً؟

نقول: قدّرناه فعلاً، لأن الأصل في العمل الأفعال.

ولماذا قدرناه متأخرًا؟

نقول قدّرناه متأخرًا لوجهين:

1 – التيمُّن بالبداءة باسم الله تعالى؛ ليكون اسم الله تعالى هو المقدّم، وحق له أن يُقدّم.

2 – لإفادة الحصر؛ وذلك لأن تأخير العامل يفيد الحصر، فإذا قلت: بسم الله اقرأ، تعيَّن أنك تقرأ باسم الله لا باسم غيره.

وقدرناه مناسبًا للمقام لأن التقدير الخاص أدل على المقصود من التقدير العام، ولأنه لا يخطر في ذهن المبسمل إلا هذا التقدير.

مثاله: لو أنك سألت الرجل الذي قال عند الوضوء بسم الله عن التقدير في قوله: بسم الله، لقال: بسم الله أتوضأ.

ولو قال قائل: أنا أُريد أن أُقدّر المتعلق بسم الله أبتدئ.

فإننا نقول: لا بأس بذلك، لكن أبتدئ: فعل عام يشمل ابتداءك بالأكل والوضوء والنظم، وكما قلنا فإن هذا التقدير لا يتبادر إلى ذهن المبسمل.

وأما {اسم} في قوله "بسم" فالمرادُ به هنا كل اسم من أسماء الله الحسنى، أي أنه لا يُراد به اسم واحد بعينه مع أنه مفرد؛ لأن القاعدة: أن المفرد المضاف يفيد العموم، فبذلك يلزم من قولنا: بسم الله، أن يكون المعنى: بكل اسم من أسماء الله الحسنى متبركًا بها. ولهذا تجد القائل: بسم الله، لا يخطر بباله اسم معين كالرحمن والرحيم والغفور والودود والشكور ونحوها، بل هو يريد العموم ويدل على ذلك، أي على أن المفرد المضاف للعموم قوله تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم: 34] . ولو كان المراد نعمة واحدة لما قال: {لاَ تُحْصُوهَا} . إذاً فالمعنى ابتدئ بكل اسم من أسماء الله عز وجل.

والباء في قوله: بسم الله فلا شك أن المراد بالباء هو: الاستعانة التي تصاحب كل الفعل، فهي في الأصل للاستعانة وهي مصاحبة للإنسان من أول الفعل إلى آخره.

- (الله): لفظ الجلالة علمٌ على الذات العلية ولا يسمى به غيره، ومعناه المألوه أي المعبود محبة وطاعة وخشية وتعظيمًا وإجلالًا، وأصله إله لكن حذفت الهمزة، وعُوض عنها بـ"أل" فصارت "الله". وقيل: أصله الإله وأنَّ "أل" موجودة في بنائه من الأصل وحُذفت الهمزة للتخفيف.

وهو مشتق من الألوهية ومعناها: التعبد بحب وتعظيم، يقال: ألهَ إليهِ أي: اشتاق إليه، وأحبه، وأناب إليه، وعظمه.

وعليه فيكون إله بمعنى مألوه، أي: معبود. نقول: فراش بمعنى مفروش، وبناء بمعنى مبنوء. وغراس بمعنى مغروس.

- **وأما {الرحمن}: فهو نعت للفظ الجلالة، وهو أيضاً اسم من أسماء الله تعالى يدل على أنه ذو الرحمة الواسعة، والرحمة صفة انفعالية أي أن الإنسان لا يستطيع أن يحدد معنى الرحمة فالرحمة هي الرحمة! لا تستطيع أن تعرِّفها بأوضح من لفظها، أما الرفق والعطف من آثار الرحمة. فنقول إن الرحمة معلومة المعنى، ومجهولة الكيفية بالنسبة لله عز وجل، ولكنها معلومة الآثار.**
- **وأما {الرحيم}: فهو اسم يدل على الفعل لأن فعيل بمعنى فاعل فهو دال على الفعل فيجتمع من {الرحمن الرحيم} أن رحمة الله واسعة وأنها واصلة إلى الخلق.**
- **وهل الرحيم بمعنى الرحمن، أم أنه يختلف؟**

قال بعض العلماء: إنه بمعنى الرحمن،ولكن لا يمكن أن نقول إنه بمعنى الرحمن لوجهين:

1 – أن الأصل في الكلام التأسيس لا التوكيد.

2 – اختلاف بناية الكلمة الأولى، وهي الرحمن على وزن فعلان، والرحيم على وزن فعيل، والقاعدة في اللغة العربية: أن اختلاف المبنى يدلُّ على اختلاف المعنى.

إذاً لابد أنه مختلف، فما وجه الخلاف؟

قال بعض العلماء: إن الرحمن يدل على الرحمة العامة، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة وهي للمؤمنين كما قال تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}.

وبعضهم قال: الرحمن يدل على الصفة، والرحيم يدل على الفعل، فمعنى الرحمن يعني ذو الرحمة الواسعة، والمراد بالرحيم إيصال الرحمة إلى المرحوم، فيكون الرحمن ملاحظاً فيه الوصف، والرحيم ملاحظاً فيه الفعل.